﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾ [التغابن: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

طـاعـةُ الـلـه ورسـولـه دليل عـلى الـرِّضـا بما قـدَّره الـلـه على عباده

لمّا ذكرت الآية السّابقة أنَّ المصائب الَّتي تصيب العبد لا تقع إلّا بإذن الله جاءت هذه الآية لدعوة الإنسان إلى طاعة الله ورسوله، وألّا ينشغلَ بالمصائب عن الطاعة فيقعَ في المهالك؛ لأنَّ العبادة لا تُقبَلُ إلّا بالاتِّباع لا بالابتداع، ويمكن أن يُضافَ إلى ما سبق من المناسبة أنَّ الآية السّابقة تضمَّنتْ أنَّ المؤمنين متهيِّئون لطاعة الله ورسوله ﷺ فيما يدعوانهم إليه من صالح الأعمال، فكان طلبُ الطّاعة لله ورسوله فرعًا عن تحقُّقِ الإيمان[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: من الفعل (ولي)، و(التَّوَلّي) يكون بمعنى الإعراض إذا عُدّي بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا؛ قال تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [النجم: 29]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ﴾ [محمد: 38]؛ أي: تُعرضوا عن الإسلام. ويكونُ بمعنى الاتّباع، نحوُ قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ [المائدة: 51]، فمعناه: من يَتَّبِعْهم ويَنْصرْهم[2]. وهو في الآية هنا بمعنى الإعراض والانصراف.

2) ﴿ٱلۡبَلَٰغُ﴾: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكانًا كان أو زمانًا أو أمرًا من الأمور المقدَّرة؛ يقال: بلغ المكانَ؛ أي: وصل إليه، وكذا إذا شارف عليه، والبلاغُ اسمٌ يدلُّ على الوصول عمومًا، والبلاغُ هنا بمعنى إيصالِ ما أراده الله على الوجهِ الأكمل، وفي البلاغِ كفايةٌ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.
(2) الهروي، تهذيب اللغة: (لمم).
(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، مفردات غريب القرآن: (بلغ).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مـــدارُ الـفـلاح على طاعة الله وطـاعـة رسـولـه فيما بلَّغ عن ربِّه

في الآية الكريمة أمرٌ جازم بطاعة اللّه وطاعة الرَّسول؛ لأنَّ مدار الفلاح والنَّجاح متوقِّفٌ على تلك الطّاعة، فإنْ أعرضتُم ورفضتُم ما جاء به الرَّسول فليس عليه هداكم، وإنَّما عليه فقط وظيفةُ البلاغ المبين الَّذي لا يَعتَورُهُ قصورٌ أو خِداج.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في مطلع الآية: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾:

الإيـمـانُ سبيلُ الالتزام بالطّاعة

الواوُ في مطلع الآية عاطفةٌ، عطفتْ قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ على قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ لأنَّها تضمَّنتْ أنَّ المؤمنين متهيِّئون لطاعةِ اللّه ورسوله ﷺ فيما يدعوانهم إليه من صالح الأعمال[1]، وفي العطفِ بيان لقيمة الجمع بين الإيمان والطّاعة، فلا إيمانَ بلا طاعةٍ وإذعانٍ لله ﷻ؛ لأنَّ طلب الطّاعة فرعٌ عن تحقُّق الإيمان.

دلالةُ التَّعبير بالفعل (أطيعوا):

ضرورةُ اتِّباع الله ورسـولـه ولـزومِ طاعتِهما

دلَّ الفعل (أطيعوا) على ضرورةِ اتِّباع ما أمر اللّه به، وجاء به رسوله من أوامرَ ونواهٍ، وفي الفعل (أطيعوا) بيانُ أنَّ الطّاعة هي السَّبيل الأكيد للخروج من الهموم والمصائب الَّتي قد تعتري المرء، فكأنَّ المعنى: "إنْ أصابكم مكروهٌ فلن يُخرِجَكم منه إلّا طاعة اللّه والرَّسول؛ فهوِّنوا على أنفسكم المصائبَ، واشتغلوا بطاعةِ اللّه وطاعةِ رسوله"[2].

وممّا يُذكر في سرِّ التَّعبير بها: أنَّ فعلَ الطّاعة الصّادرَ من اللّه تأكيدٌ لعلمه في قوله ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فهو العالم بطاعتكم ورضاكم عن حُكمه، أو معصيتكم وضَجَركم من هذا الحكم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 283.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الَّذين لا يرضَون بتقدير الله لهم في المصائب لا يوصفون بالطّاعة؛ لعدم تسليمهم؛ فأصلُ الطّاعة الائتمارُ بما أمَرَ به والارتسامُ فيما رسم، ويضادُّ الطاعةَ الكرهُ[1].

دلالةُ الجمع بين طاعة الله ورسوله:

بـيـانُ مـكـانـة رسول الله ﷺ، فـطـاعـتُـه من طاعة الله

دلَّ الجمع بين طاعة الله ورسوله في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ على كلاءة الله لرسوله وحفظه والاهتمام بأمره، فالطّاعة ليست للهِ وحده، وإنَّما لرسوله أيضًا، وطاعةُ أحدِهما دون الآخرِ فيها نقصٌ وخِداج.

دلالةُ الأمر بالطّاعة في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾:

تـلازُمُ الطّاعتين ولـزومُ الجمع بينهما

دلَّ الأمر بالطّاعة في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ على ضرورة جمع الطّاعتين، وفي الأمر تطييبٌ لخاطر الرَّسول ﷺ؛ لأنَّه المُبلِّغ عن ربِّه؛ فكان في الأمر تأنيسٌ وترطيبٌ لقلبه الشَّريف ﷺ، وتبشيرٌ له بكثرةِ أتْباعه، ولعلَّ في التَّعبير بالأمر هنا ملمحًا آخرَ، وهو سرعةُ التَّنفيذ والامتثال لله[2]، وكأنَّ الطّاعة قد حدثتْ بالفعل.

سرُّ التَّعبير باسم ﴿ٱللَّهَ﴾ دون غيره في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾:

إبـــرازُ عـظـمـة الألـوهـيَّـة في مقام العبوديَّة

علَّقَ القرآن الكريم الطّاعةَ بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ دون لفظِ الرَّبِّ؛ للدَّلالة على أنَّ مقام الطّاعة مقامُ عبوديَّة؛ فناسبه التَّعبيرُ بمقام الألوهيَّة، وهذا يقتضي كمالَ الانقياد والخضوعِ لأوامر الله؛ لأنَّ له الحُكمَ والسُّلطةَ دون غيره سبحانه.

سرُّ تقديمِ طاعةِ الله على طاعةِ الرَّسول:

طاعةُ الله أصلٌ وطـاعـةُ رسولِه فرعٌ عنها

قُدِّمَتْ طاعةُ الله على طاعة رسوله في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾؛ لأنَّ طاعة الله هى الأصلُ، وطاعةَ رسول الله فرعٌ عنها؛ فقُدِّمَ الأصلُ على الفرع، ومراعاةً للسّياق؛ حيث تقدَّمَ

(1) الراغب، مفردات غريب القرآن: (طوع).
(2) سعد، بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 265.

الحديثُ عن علم اللهِ بكلِّ شيء في ختام الآية السّابقة؛ فناسبَ ذلك ذكرُ طاعةِ الله أوَّلًا؛ لقرب الاتِّصال بينهما.

نكتةُ إعادةِ الأمر بالطّاعة مع الرّسول:

الفرقُ بين الإطاعتين مع اختصاص الرَّسول ببيان الأحكام

كُرِّرَ الأمرُ بالطّاعة مع الرَّسول ﷺ، مع أنَّ طاعته من طاعة الله ﷻ، ومع أنَّ حرف العطف بالواو يُغني عن تكرار الفعل، فلو قال: (وأطيعوا الله والرَّسول) لفُهِمَ معنى الطّاعةُ أيضًا؛ للتَّأكيد، وللإيذانِ بالفرق بين الإطاعتين في الكيفيَّة[1]، والغرضُ من التَّكرار رسوخُ الحُكم، وطلبُ ثباته في الذِّهن، وإبعادُهُ عن دائرة الشَّكِّ، وتمكينُهُ في دائرة اليقين، وإظهارُ الاهتمام بطاعته ﷺ فيما شرَّع استقلالًا، وفي هذا دليلٌ على وجوب اتِّباع ما ورد في الكتاب والسُّنَّةِ، وكذلك في تكرار الفعل دلالةٌ لبيان عطف المفصَّل على المجمل؛ لأنَّ في بعض آيات القرآن إجمالًا، والرَّسولُ ﷺ هو الَّذي فصّل هذا الإجمالَ، وقد يضاف إلى ذلك أنَّ طاعة الرَّسول واجبةٌ إذا أتى بأحكامٍ ليست في القرآن، فهنا تكون طاعتُهُ واجبةً؛ لأنَّها مِن طاعةِ الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: 7]، وأدلَّةُ القرآن تدلُّ على أنَّ كلَّ ماجاء به الرَّسولُ؛ مِن أوامرَ أمَرَ بها ونواهٍ نهى عنها هو لاحِقٌ في الحُكم بما جاء في القرآن الكريم[2].

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلرَّسُولَ﴾:

الإشارةُ إلى الرَّسولِ المعهود لديكم، أو احتمالُ عموم الرُّسُلِ من عند الله

الألف واللّام في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ عهديَّةٌ؛ أي: ذلك الرَّسولَ الَّذي تعرفونه بينكم كمعرفتكم أبناءَكم أو أشدَّ، وهو الرَّسول ﷺ المعهودُ لديكم الَّذي يعيش بين ظهرانيكم، و(أل) هنا

(1) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 320.
(2) القاسمي، تفسير القاسمي: 1/ 109.

في قوَّة اسم الإشارة[1]، فكلمة ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ كأنَّها في قوَّة (هذا الرَّسول الَّذي تعرفونه)، ويجوز أن تكون (أل) جنسيَّةً دالَّةً على كلِّ رسولٍ؛ أي: أطيعوا الله وأطيعوا كلَّ رسولٍ يُرسِلُهُ الله ليُبلِّغَكم أمورَ دينِكم، فعدمُ إطاعةِ رسولٍ معصيةٌ لكلِّ الرُّسُلِ لا لرسولٍ واحدٍ.

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَإِن﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِن﴾ استئنافيَّةٌ، والغرضُ منها التَّحذيرُ من عصيان الله ورسوله ﷺ[2]؛ بعدم الالتزام بالأوامرِ والاجتناب للنواهي.

التَّحذيرُ من عصيانِ الرَّسول

دلالةُ التَّعبير بـ(إن) الشَّرطيَّة:

دلَّ التَّعبيرُ بـ(إن) الشَّرطيَّة في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ على حثِّ النّاس على الطّاعة وتوجيهِ مشاعرِهم بالالتزام بها، وإبعادهم عن المعصية، وفي التَّعبير بها مدحٌ لأهلِ الطّاعةِ الَّذين ثبتوا على طاعته، وتحفيزٌ لغيرِهم؛ كي يدخلوا دائرةَ الطّاعة.

الإشارةُ إلى مدح أهل الطّاعات، بالالتزامِ المأمورات، واجتنابِ المنهيّات

بلاغةُ التَّعبير بالجملة الشَّرطيَّة:

تَظهَرُ بلاغةُ التَّعبير بالجملة الشَّرطيَّةِ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا﴾ في إبراز الوعيد للكفّار، والتَّسلية للرَّسول ﷺ؛ لأنَّه قامَ بدَوْرِ البلاغِ على أكملِ وجهٍ وأتَمِّهِ، فقد أدّى الأمانة، ونهض بالواجب، وأقام الحجَّة.

إبرازُ الوعيدِ لمَن تولّى وأعرَضَ، والثَّوابِ لمَن آمَنَ واتَّبع

دلالةُ حذف جواب الشَّرط:

حُذف جواب الشَّرط لقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ حتّى تذهبَ النَّفْسُ فيه كلَّ مذهبٍ، وتتعانقَ التَّقديراتُ في إبراءِ ذمَّة الرَّسول ﷺ من التَّقصير، وتعدُّدِ أنماط التَّرهيب والزَّجر للكفّار؛ فيجوزُ أن يكون تقدير الجواب: (فلا بأسَ عليه)، (فلا تثريبَ عليه)، وتكونُ جملةُ ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ دليلًا على الجواب أو تعليلًا له[3].

تبليغُ الرَّسولِ الكريمِ الرِّسالة بكاملِ الأمانة

(1) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 1/ 148.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 281.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 320، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 258.

بلاغةُ الاستعارة في التّعبير بـ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾:

المبالغةُ في التّشنيعِ على مَن أعرَضَ ونأى

التَّولّي مستعارٌ للعصيان وعدمِ قبول دعوة الرَّسول، وحقيقةُ التَّولّي الانصرافُ عن المكان المستقَرِّ فيه، واستُعير التَّولّي للعصيان تشنيعًا له ومبالغةً في التَّحذيرِ منه، ومثلُه قوله تعالى في خطاب المؤمنين: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [محمَّد: 38]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ [الأنفال: 20][1].

دلالةُ صيغة (تفعَّلَ) في الفعل ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾:

الاجتهادُ والتَّصرُّفُ في رفضِ الدَّعوة

دلَّ التَّعبير بصيغة (تفعَّلَ) في الفعل ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ على الاجتهاد والتَّصرُّفِ في تحصيل أصل الفعل، فكأنَّ في الفعل ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ محاولةً من الكفّار للنَّبيِّ ﷺ في التَّولّي، ومشايعته حتّى الوصولِ إلى الإعراض التّامِّ والانصراف الَّذي ترنو إليه نفوسهم؛ من رفضها اتِّباعَ النَّبيِّ ﷺ؛ اتِّباعًا لِما ألْفَوا عليه آباءهم، "وفي التَّعبير بها مزيدُ وعيدٍ للكفّار لإصرارهم على التَّولّي، وبيانٌ لكمال بلاغِهِ ﷺ"[2].

سرُّ التَّعبير بـ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ لا (تولَّوا):

التَّلاؤمُ وتكريمُ المخاطبين عند خطابهم

جاء التَّعبير بالخطاب المباشر ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾؛ ليتلاءَمَ مع مطلع الآية ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ بالخطاب المباشر، وفي الخطاب دعوةٌ صريحة إلى ترك التَّولّي والزَّجر لمَن اتَّخذَ التَّولّيَ سبيلًا للكفر بما جاء به النَّبيُّ، ثمَّ في الخطاب المباشر تكريمٌ لهم، بأنْ جعَلَهم أهلًا للخطاب؛ كي يخجلوا من كفرهم، ويعلنوا طاعتَهم لله ورسوله.

بلاغةُ القصر في الآية:

لزومُ البلاغ مع الحثِّ على الطّاعة

في قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ قصرُ موصوفٍ على صفته؛ فالرَّسولُ ﷺ مقصور على لزوم البلاغ له، لا يعدو ذلك إلى لزوم شيءٍ آخرَ. وهو قصرُ قلبٍ تنزيلًا لهم في حالة العصيان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 230.
(2) الثعالبي، تفسير الثعالبي: 5/ 439.

المفروض منزلةَ من يعتقد أنَّ الله لو شاء لألجَأهم إلى العمل بما أمرهم به؛ إلهابًا لنفوسهم بالحثِّ على الطّاعة[1].

نكتةُ تعدية البلاغ بحرف الاستعلاء:

تمكُّنُ الدَّعوة منه وسيطرتُها على قلبه ﷺ

دلَّتْ تعديةُ البلاغ بحرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ على التَّمكُّن والتَّلبُّس، فقد صار البلاغ بمنزلة الشُّغلِ الشّاغل للرَّسول ﷺ، هو همُّه ليلَ نهار، لا يتركُه قيدَ أُنمُلة، فصار يُعرَفُ بالبلاغ ولا يُعرف بغيره؛ فكان الحرفُ هنا هو المعبِّرَ عن استيلاء الدَّعوة على عقل الرَّسول وقلبه، ويضاف إلى ذلك أنَّ الحرف (على) فيه معنى الثِّقل والتَّحمُّل، فكانت التَّعديةُ به متناسبةً مع البلاغ الَّذي يَثقُل ويَعظُم مع قومٍ بُهْتٍ لا يؤمنون.

دلالةُ إضافةِ الرّسول إلى ضمير العظمة ﴿رَسُولِنَا﴾:

التَّعظيم وتطييب خاطر الرَّسول

دلَّتْ إضافةُ الرَّسول إلى ضمير العظمة ﴿رَسُولِنَا﴾ على عظيم قَدْرِه ورفعةِ شأنه؛ لأنَّه ﷺ رسولُ ربِّ العالمين[2]، ومِن تعظيم الله تعظيمُ رسوله الأمين، وفي الإضافة تطييبٌ لخاطر الرَّسول الأعظم إذا تولّى النّاس وأعرضوا عنه، وفي الإضافةِ أيضًا بيانُ الكلاءة والحفظ لرسوله، وتهديد لمن يتولّى عنه؛ فإضافته إلى (نا) العظمة تعني التَّبعيَّةَ المطلقة من الرَّسول لربِّه لا غيره.

بلاغةُ الالتفاتِ من الغَيْبة إلى التَّكلُّم في ﴿رَسُولِنَا﴾:

التَّشريفُ بعزِّ الإضافة

في الضَّمير التفاتٌ من الغَيْبة إلى التَّكلُّم، وهذا يفيد تشريف الرَّسول بعزِّ الإضافة إلى المتكلِّم[3]، فالمضافُ إلى العظيم عظيمٌ، والمضاف إلى الجليل جليل، فاجتمع للرَّسول ﷺ عظمتان؛ عظمةُ نفسِه، وعظمةُ إضافته إلى العظيم، وفي الإضافة إلماحةٌ إلى أنَّ الرَّسول لا ينطق عن الهوى، وإنَّما كلُّ ما ينطق به تابعٌ لمرادات الله.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 281.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 281.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 281.

نكتةُ تقديم شبه الجملة ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾:

في الآيةِ تقديمٌ للجارِّ والمجرور الخبرِ على المبتدأ ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾؛ ونكتةُ ذلك قصرُ الصِّفة على الموصوف؛ وفي هذا إلماحةٌ إلى أنَّ المَهَمَّةَ الأولى للرَّسول هي التَّبليغ لا الهداية؛ لأنَّ وظيفته هي تعريفُ النّاس بطرائق الهدى والإشارة إليها.

المَهَمَّةُ الأولى للرَّسول البلاغُ عن الله لا هدايتُهم

بلاغةُ المجاز في لفظةِ ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ القرآنيُّ بالبلاغ عن التَّبليغ؛ وفي هذا مجازٌ مرسلٌ، حيث عبَّر باللّازم الَّذي هو البلاغُ والوصولُ إلى الغاية المرادة عن الملزوم الَّذي هو التَّبليغ والتَّوصيل[1].

قيمةُ (البلاغ) في وصول الدَّعوة إلى البشر

دلالةُ وصف ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ بـ﴿ٱلْمُبِينُ﴾:

وَصْفُ ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ بـ﴿ٱلْمُبِينُ﴾، فيه نكاتٌ؛ **الأولى**: الوضوح؛ أي: البلاغ الواضح، وفي هذا إعلانٌ بأنَّ الرَّسول ﷺ بلّغ ما أُمِرَ به على الوجه الأكملِ قطعًا للمعذرة عن عدمِ امتثال ما أمَرَ به[2]، و**الثّانية**: أنَّ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ معناه: بيِّنٌ في نفسه واضحٌ جليٌّ، وفي ذلك ذكرى لمَن كان له قلب، و**الثّالثة**: أنَّ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: مُبَيِّنٌ لكم أحكامَ الله تعالى وتكاليفَه، بحيث لا يعتريها شبهةٌ، بل هي واضحة نيِّرة جليَّة[3]. وقد يضاف إلى دلالة الوصف هنا الإشارةُ إلى قيمة البلاغة والفصاحة في التَّبليغ عن الله، فالدَّعوةُ تحتاجُ إلى البيان، ولن يكون البيان إلّا بالفصاحة.

وضوحُ (البلاغ) وقطع العذر عمَّن تنكَّبَ الطَّريق

أمّا **النُّكتةُ الرّابعة** فهي نكتةٌ لفظيَّةٌ تتعلَّقُ بتوافُق رؤوس الآي القائمة على حرف النّون ﴿ٱلْمُبِينُ﴾، وبعدها ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وهذا جانبٌ مَرْعيٌّ في النَّظم.

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 8/ 135.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 281.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 359.

المتشابهُ اللَّفظيُّ:

تشابهتْ هذه الآيةُ مع قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة: 92]، والنّاظر في الآيتين يجدُ تشابهًا بينهما مع اختلافٍ في موضع سورة المائدة، وذلك بزيادةِ قولِه: ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: 92] وقولِه: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ [المائدة: 92]؛ مع أنَّ المعنى في الآيتين يتضمَّن الأمرَ بطاعة اللّه وطاعة رسوله والتَّحذيرَ من التَّنكُّبِ والتَّولّي عن ذلك.

وسرُّ ذلك الاختلافِ ناتجٌ عن مراعاة السّياق في السّورتين؛ فموضعُ سورة المائدة جاء عقبَ اجتنابِ الخمر وما ذكر معها وبيانِ علَّة ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة: 91]؛ فلمّا ختمت الآية بالتَّهديد المُشعِرِ بشدَّة الوعيد ناسَبَ ذلك قولَهُ: ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: 92]؛ ثم أكَّدَ ذلك بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ [المائدة: 92]. أمّا موضعُ سورة التَّغابن فلم يَرِدْ قبله ما يوجب هذا التَّحذيرَ والتَّوكيد؛ حيث كان الكلام على أنَّ ما أصاب العبدَ من مصيبةِ خيرٍ أو شرٍّ فهي بإذن اللّه، فلم يَرِدْ بعدها نهيٌ عن مُحرَّم يستوجب التَّحذير والتَّأكيد؛ لذلك لم يَرِدْ ما ورد في سورة المائدة، فجاء كلٌّ على ما يناسبُه[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّولّي والإعراض:

بينَ اللَّفظتين تقاربٌ دلاليٌّ، حيث يشتركان في معنًى عامٍّ هو البُعد والتَّرك، ويختصُّ كلٌّ منهما بملمحٍ دلاليٍّ يميِّزُه؛ فالإعراضُ لا يُشترَطُ أنْ يكونَ في الشَّرِّ، فقد يكون المُعرِض تاركًا للشَّرِّ مُجانِبًا له، وهو أدنى وأخفُّ من الصَّدِّ والصُّدود؛ لذا استُعمل في تركِ الأذى والكفِّ عنه، أمّا التَّولّي فهو إعراضٌ عن الشّيء بالجسم وبترك الإصغاء والائتمار، وهو أشدُّ من الإعراض[2].

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 1/ 137.

(2) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية واللمحات البلاغية: 1/ 320.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"